جامعة القاهرة

فرع الفيوم

كلية دار العلوم

قسم الشريعة الإسلامية

منهج ابن كثير فى توثيق متون السنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

محمود قرنى محمد محمد

المدرس المساعد بقسم الشريعة الإسلامية بالكلية

إشراف

أ.د. عبد اللطيف محمد عامر

أستاذ الشريعة الإسلامية

بكلية الحقوق جامعة الزقازيق

أ.د. يوسف عبد الرحمن الفرت

أستاذ الشريعة الإسلامية بالكلية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

عنوان الرسالة

منهج ابن كثير في توثيق متون السنة

لقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد خمسة أبواب وخاتمة ، على النحو التالى:

فالمقدمة عرضت فيها أسباب اختيار الموضوع ومنهجه وطريقة عرضه والدراسات السابقة.

ويأتى التمهيد بعنوان "الحافظ ابن كثير وكتابه التفسير".

تناولت فى هذا التمهيد حياة ابن كثير، ومنهجه فى كتابه تفسير القرآن العظيم، وجعلته فى مبحثين:

المبحث الأول: نشأة الحافظ ابن كثير وشيوخه وآثاره ووفاته.

المبحث الثانى: منهج الحافظ ابن كثير فى تفسيره.

وأما الباب الأول فعنوانه "عوامل ظهور توثيق المتن وتطوره".

وفيه تمهيد وفصلان:

التمهيد: تناولت فيه التعريف ببعض المصطلحات الحديثية ، ومنها: السنة والمتن والتوثيق والنقد.

الفصل الأول: عوامل ظهور توثيق المتن.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ظاهرة الوضع.

المبحث الثانى: ظاهرة الوهم.

الفصل الثانى: تطور توثيق المتن.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التوثيق فى زمن النبى ρ والصحابة والتابعين .

المبحث الثانى: منهج المحدثين فى توثيق المتن.

الباب الثانى: مقياس عرض السنة على ظاهر القرآن عند ابن كثير.

عرض الباحث فى هذا الباب لأهم أسس توثيق المتن عند ابن كثير، وهو عرض السنة على ظاهر القرآن الكريم ، و اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المقصود من عرض السنة على ظاهر القرآن.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اتجاه الحنفية والمالكية.

المبحث الثانى: اتجاه المحدثين.

الفصل الثانى: عرضت فى هذا الفصل للأحاديث التى ردها ابن كثير؛ لمخالفة متنها ظاهر القرآن الكريم.

الفصل الثالث: طرق دفع التعارض بين خبر الواحد وظاهر القرآن.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الجمع بين ظاهر القرآن وخبر الواحد بالتخصيص.

المبحث الثانى: الجمع بين ظاهر القرآن وخبر الواحد بالتأويل.

الباب الثالث: مقياس عرض الحديث على الوقائع والأحداث التاريخية.

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول : عرضت فى هذا الفصل للأحاديث التى ردها ابن كثير؛ لمخالفة متنها الثابت من التاريخ.

الفصل الثانى: دفع التعارض بين خبر الواحد والأحداث التاريخية الثابتة.

الباب الرابع: مقياس سبر متن الحديث .

يندرج تحت هذا المقياس جملة من المقاييس النقدية الخارجية المهمة التى عن طريقها يمكن كشف كذب الحديث ، أو ضعفه. ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: اشتمال الحديث على أمر منكر.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإسرائيليات عند ابن كثير.

المبحث الثانى: عرضت فى هذا المبحث للأحاديث التى ردها ابن كثير؛ لتعارضها مع عصمة الأنبياء ، عليهم السلام.

الفصل الثانى: مخالفة الحديث للأصول الشرعية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مخالفة الوسطية والاعتدال فى أحكام الشريعة الإسلامية.

المبحث الثانى: مخالفة مسئولية الإنسان عن نفسه فقط.

المبحث الثالث: مخالفة الحديث للمقياس الحقيقى للقرب أو البعد من الله.

الباب الخامس: نقد متون السنة بمخالفات الثقات .

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: منكر المتن .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المنكر.

المبحث الثانى: جهود ابن كثير فى المنكر.

الفصل الثانى: زيادة الثقة فى المتن .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عرضت فيه لتعريف زيادة الثقة ، وأقسامها ، وآراء العلماء فيها.

المبحث الثانى: جهود ابن كثير فى زيادة الثقة.

الفصل الثالث: التصحيف فى المتن .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التصحيف.

المبحث الثانى: جهود ابن كثير فى التصحيف.

الفصل الرابع: مدرج المتن .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عرضت فيه لتعريف الحديث المدرج ، وأسبابه ، وعلاماته، وحكم روايته.

المبحث الثانى: جهود ابن كثير فى المدرج.

وبعد أن وصل البحث إلى نهايته ، يورد الباحث فى هذه الخاتمة أهم النتائج التى توصل إليها فى بحثه.

أولاً : أكد الباحث فى هذا البحث ، وبدراسة موضوعية على أن علماء الحديث – وابن كثير بصفة خاصة –قد غاصوا فى متون الأحاديث ، ووقفوا عندها طويلاً ، حتى يميزوا بين الصحيح وغيره ، ولا تقل جهودهم فى هذا المجال عن جهودهم فى توثيق السند ، وفى ذلك رد على المطعن الذى أثاره المستشرقون ، ومن تابعهم بأن علماء الحديث اهتموا بتوثيق السند ، ولم يهتموا بتوثيق المتن.

ثانيًا: الحافظ ابن كثير نشأ نشأة علمية فى وقت مبكر، فقد كان أبوه فقيهًا أديبًا شاعرًا ، وكان أخوه عبد الوهاب من الأساتذة الذين تتلمذ عليهم ، وكذلك تتلمذ على يد كبار رجال عصره ، ويكفى أن نعلم أن من بينهم : شيخ الإسلام ابن تيمية ، والذهبى ، والمزى ، وابن الشحنة.

ثالثًا: أبرز البحث المكانة العلمية المرموقة التى احتلها الحافظ ابن كثير بغزارة إنتاجه العلمى فى الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ، بالإضافة إلى ثناء العلماء عليه

بأنه كان عالماً ضابطاً قليل النسيان ، كثير الحفظ ، غزير المعرفة ، مستقل الشخصية ، لا يعرف الهوى ، ولا يجيد المجاملة ، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ، بل لم يجد الباحث أحداً ممن ترجم لابن كثير تناول الرجل فى علمه ، ولا فى خلقه ، ولا فى دينه إلا بما يزينه ، ويعلى من مكانته.

رابعاً: أبرز البحث مكانة كتاب " تفسير القرآن العظيم" وثناء العلماء عليه ، فقد احتل هذا الكتاب مكانة عالية ، فلا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة سواء أكانت شخصية أم عامة وقد نهج ابن كثير فيه منهجاً علمياً أصيلاً ، وساقه بأسلوب سلس العبارة مهذب الألفاظ .

خامساً: كشف هذا البحث عن مقاييس توثيق متون السنة التى استخدمها ابن كثير فى كتابه التفسير ، وذلك من خلال الأمثلة الكثيرة الخاصة بكل نوع من أنواعها ، وذلك على النحو التالى:

١-أثبت البحث أن ابن كثير لا يحكم برد متن الحديث ؛ لمخالفته ظاهر القرآن الكريم إلا بعد أن يفرغ وسعه فى الجمع بينه ، وبين النص القرآنى بالتخصيص ، أو التأويل ، فإذا لم يجد وجهاً للجمع حكم برد الحديث ، وكان هذا هو المنفذ الأخير لحل هذا الإشكال ، وذلك لأن القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة لا يمكن أن يتناقضا ، فإذا حكم على حديث بأنه مخالف لكتاب الله تعالى ، كان حكماً عليه بأنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم.

٢-أثبت البحث أن الحافظ ابن كثير كان من العلماء الذين لا يغترون بصحة الإسناد ، ويتمسكون بمنهج نقد المتن بمعزل عن قوة إسناده ؛ لأنه قد يصح السند ، ويكون المتن شاذاً مردوداً .وأخذاً بهذه القاعدة التى تقول: " ليس كل ما صح سنداً صح متناً" و التى أرساها ابن كثير وغيره من الحفاظ ، فقد رد ابن كثير

أحاديث كثيرة فى صحيح مسلم والسنن ، وغيرها من الكتب المشهورة ، كما عرضنا ذلك فى أثناء هذا البحث.

٣-أثبت البحث أن ابن كثير قد سلك مسلك جمهور المحدثين فى ترتيب مسالك دفع التعارض بين مختلف الحديث ، فنراه يبدأ أولاً بمحاولة الجمع بين الحديثين المتعارضين ما أمكن بأى وجه من وجوه الجمع الصحيحة ؛ لأن إعمال الحديثين أولى من ترك أحدهماوقد ظهر واضحًا استخدام الحافظ ابن كثير لهذا المسلك من خلال الأمثلة التى عرضتها فى فصل الجمع والتوفيق بين مختلف الحديث.

وأما عند تعذر الجمع بين الحديثين على وجه مقبول ، فيبحث عن زمن صدور الحديثين عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن علم تاريخ كل واحد منهما ، وكان أحدهما أسبق من الآخر ، فيحكم بنسخ المتقدم ، ويكون العمل بالناسخ وهو المتأخر.

وأما عند تعذر الجمع بين الحديثين ، وتعذر الوقوف على المتقدم والمتأخر فيبحث فى درجة الحديثين من حيث القوة ، فإن وجد مرجحًا لأحدهما على الآخر عمل بالراجح ، وترك المرجوح ، وقد ظهر هذا واضحًا من الأمثلة التى ذكرتها فى فصل الترجيح بين مختلف الحديث عند ابن كثير.

٤-أثبت البحث أن الحافظ ابن كثير لا يحكم برد متن الحديث ؛ لمخالفته الحقائق التاريخية الثابتة إلا بعد أن يفرغ وسعه فى تأويل الحديث ، حتى يتوافق مع ما تدل عليه الحقائق التاريخية الثابتة ، فإذا لم يجد وجهًا للجمع حكم برد الحديث المخالف للحقائق التاريخية الثابتة ، وذلك لأن حديث الآحاد ظنى الثبوت ، فلا يجوز أن يتعارض مع ما ثبت بالقطع ، أو ما يشبه القطع من الحقائق التاريخية الثابتة.

٥-أثبت البحث أن تفسير ابن كثير يعتبر نسيج وحده فى التنبيه على الإسرائيليات ونقدها ، والتحذير منها ، فتارة يذكرها ابن كثير ، ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية ، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة ، وتارة لا يذكرها ، بل

يشير إليها ، ويبين رأيه فيها ، إلا فى القليل النادر ، وظهر ذلك بوضوح فيما عرضناه من الأحاديث التى ردها ابن كثير ؛ لكون متنها من الإسرائيليات المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦-أثبت البحث أن ابن كثير كان يرد الحديث إذا اشتمل على أمر ينكر صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن غيره من الأنبياء ، عليهم السلام ، وظهر ذلك واضحًا من الأحاديث التى عرضناها سابقًا ، والتى ردها ابن كثير ؛ لتعارض متنها مع عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٧-أثبت البحث أن ابن كثير كان يرد الحديث إذا خالف الوسطية والاعتدال فى الشريعة الإسلامية ، فيرتب الثواب العظيم على العمل الصغير، أو العقاب الأليم على الأمر اليسير، و ظهر ذلك واضحًا من الأحاديثالتى عرضناها سابقًا ، والتى ردها ابن كثير ؛ لما تشتمل عليها من مجازفات فاحشة فى الثواب لا تتناسب مع الأعمال الصغيرة التى ذكرت فيها.

٨-أثبت البحث أن الحافظ ابن كثير قد سعى جاهدًا للكشف عن الأحاديث المنكرة ، والتحذير منها ، وذلك لخوفه من التباس الحديث المنكر على غير أولى الشأن من الفقهاء وغيرهم ، فيظنونه حديثًا سويًا ، بينما هو فى واقعه حديث مردود ؛ لأن من تفرد به لم يبلغ من الثقة والإتقان ما يؤهله للتفرد ، ولهذا عمد ابن كثير إلى كشفه فى سائر كتابه ، وذلك طبقًا لمنهجه فى الدفاع عن متون السنة ، وتخليصها من الشوائب ، وظهر ذلك واضحًا من الأمثلة التى ذكرناها فى منكر المتن.

٩-أثبت البحث أن ابن كثير لم يكن يكتفى ببيان موضع زيادة الثقة ، أو التصحيف ، أو الإدراج فى المتن ، بل كان يعقب ذلك ببيان الصواب مقرونًا بالحجة والدليل ، وظهر ذلك واضحًا عند حديثنا عن زيادة الثقة فى المتن ، والتصحيف فى المتن ، والإدراج فى المتن.